منهج القرآن الكريم

فى توفير العفة والحفاظ عليها

د. محمد بن حسين الشيعاني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

منهج القرآن الكريم في توفير العفة والحفاظ عليها

د. محمد بن حسين الشيعاني

الاستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

جامعة أم القرى – السعودية

بحث مقدم لمؤتمر مقدس ٦

رقم التسجيل/ **MQ6A123**

الجديد و الحصري
NEW & EXCLUSIVE

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لدين الإسلام الجامع لخيري الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فقد دعا القرآن الكريم إلى مكارم الأخلاق وحث على الاستقامة، والعفاف، والطهر، وتربية الأمة الإسلامية على حب الفضيلة، وكراهية الرذيلة، مما ينتج عنه استقرار الأسر، وحمايتها من التشرد، وحفظ الأعراض، وصيانة الأنساب، وطهارة المجتمع، وسد أبواب الفساد، وبذلك تتنزل البركة على المجتمع، فينعم الجميع بالأمن والاستقرار والطمأنينة، بفضل الاستجابة لأمر الله تعالى، والاستقامة على شرعه ، ونظراً لانتشار مظاهر التبرج والسفور في بعض المجتمعات الإسلامية وما نتج عن ذلك من حدوث مشكلات أخلاقية واجتماعية كارثية عليها فقد أحببت أن يكون عنوان البحث/ **منهج القرآن الكريم في توفير العفة والحفاظ عليها**.

١- أهمية البحث:

اتفقت الأديان والكتب السابقة على توفير العفة والحفاظ عليها وجاء القرآن وهو خاتم الكتب السماوية فأحاطها بمزيد من العناية والمحافظة والرعاية وعد الحفاظ على العرض من الضروريات الستة التي لا بد لكل مجتمع منها والتي هي: الأديان، والأنفس، والعقول، والأعراض، والأنساب، والأموال، كما هو مقرر في أصول الشريعة وقواعدها المعتبرة.

وقد جاء القرآن الكريم بمنظومة من التشريعات التي من شأنها أن تحفظ للمجتمع الإسلامي أمنه واستقراره، وعفته وطهارته، وقد تمثلت هذه التشريعات بإيجاد عقوبات رادعة للذين يعبثون بأعراض أفراده، كما سلكت مسلك الوقاية من هذه الأمراض الاجتماعية، من خلال تشريعات وقائية بينت الطرق الكفيلة بحماية الفرد والمجتمع في هذا الباب، وغيرها من الاحتياطات التي بينت أن الإسلام لا يقيم بناءه على العقوبة، بل على الوقاية من الأسباب الدافعة إلى الجريمة.

وفي هذه الأيام تعاني بعض المجتمعات الإسلامية من مظاهر الانحلال والتبرج وضعف العفة وانتشار القنوات الفضائية إلى غير ذلك من الأسباب وقد نتج عن هذه المظاهر تفشي الأمراض الاجتماعية والعلاقات غير الشرعية بين الجنسين وما تولد عن ذلك من مشكلات اجتماعية باتت ظاهرة تؤرق الغيورين والمسؤولين على حد سواء ما يستلزم ضرورة الرجوع إلى منهج القرآن الكريم في علاج هذه الظواهر السلبية بحكمة وبصيرة وهو ما يحاول هذا البحث إظهاره وبيانه بإذن الله تعالى كما سيأتي.

٢- أهداف البحث:

يسعى الباحث من خلال بحثه إلى تحقيق جملة من الأهداف ومنها:

أ- بيان منهج القرآن في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين افراد المجتمع المسلم.

ب- إرساء قواعد القرآن الكريم عبر أساليبه المختلفة لتوفير العفة.

ج- إيجاد جملة من الحلول والخطوات التي من شأنها أن تحد من انتشار الانحلال الأخلاقي من خلال استقراء منهج القرآن الكريم، وما ينتج عن مخالفته من تفكك أسري وشيوع الفساد والرذيلة.

٣- خطة البحث:

ينقسم البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث تفصيلها في الآتي:

أما التمهيد ففيه: منزلة الأخلاق في القرآن الكريم.

المبحث الأول: العفة في القرآن الكريم، تعريفها، مكانتها، أهميتها.

المبحث الثاني: أساليب القرآن الكريم في توفير العفة.

المبحث الثالث: آثار الحفاظ على العفة في المجتمع الاسلامي

٤- منهج البحث:

يمكن تلخيص المنهج الذي سرت عليه في كتابة البحث بأنه استقرائي وصفي، وفق النقاط التالية:

أ- حرصت على أن يكون البحث معتمداً على القرآن وما ورد من غيره إنما هو لبيان المقصود.

ب- التزمت ترقيم الآيات وعزوها إلى سورها.

ج- خرجت الأحاديث بذكر من خرجها ورقم الحديث مع بيان الحكم عليه إن كان في غير الصحيحين.

د- لم أترجم للأعلام لأن معظمهم من مشاهير أهل العلم والمقام لا يتسع لذلك.

حرصت على أن يكون البحث مرتبطاً بالواقع ، ويعالج قضايا معاصرة، وخطاباً لكافة القراء وأسال الله أن أكون قد وفقت لما حرصت عليه، وبعد فقد اجتهدت في إخراج هذا البحث مع ما يكتنف ذلك من حرج، ووجوب تحر الصواب؛ حتى لا يقال على الله بغير علم، ثم هو مرتبط بحياة الناس، وبيوتهم وأسرهم، مع ما في ذلك من حساسية، وما عسى أن يكون له من أثر إيجابي أو سلبي.

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

وحسبي أني بذلت جهدي، نصحاً لكتاب ربي، وبراً بأبناء أمتي، فإن كنت قد وفقت فمن الله، وله الحمد والشكر، وإلا فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

التمهيد:

منزلة الأخلاق في القرآن الكريم

القرآن الكريم منهج حياة؛ لم ينزل من السماء لمجرد القراءة فحسب كما هو تصور كثير من المسلمين عن آياته، إنما هو كتاب تربية وتوجيه يأخذ بمجامع القلوب إلى الخير في كل ميدان، وما أن تتدبر القلوب آياته إلا وتستخرج منها العبر، إذ كل متخصص يجد فيه بغيته، وكل باحث يجد فيه نهمته، فالعقول في تدبر آياته متفاوتة، وكل يستقي من بحاره على قدر إنائه، فمستقل ومستكثر.

ومن هنا فالقرآن الكريم هو المصدر العظيم الذي يزكي بأحكامه النفوس، ويهذب بتشريعاته المجتمعات، فهو في المقام الأول كتاب تربية وهداية إلى أقوم السبل، وأحسن الطرق.

يقول سبحانه وتعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (سورة الجمعة: الآية: ٣).

ومن هذا المنطلق فإن شأن الأخلاق في القرآن شأن عظيم، ومنزلتها لعالية في الدين ، فالدين هو الخلق، ولقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة في الحديث عن الأخلاق، فحثت، وحضت، ورغبت في محاسن الأخلاق، وحذرت، ونفرت، ورهبت من مساوئ الأخلاق فقال -جل وعلا-: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} (سورة الأعراف: الآية: ١٩٩).

هذه الآية من ثلاث كلمات؛ قد تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات حتى لم يبق فيها حسنة إلا أوعتها ولا فضيلة إلا شرحتها؛ وأكرومة وإلا وافتتحها؛ وأخذت الكلمات الثلاث أقسام الإسلام الثلاثة ، فقوله: خذ العفو؛ تولى بالبيان جانب اللين ونفي الحرج في الأخذ والإعطاء والتكليف؛ وقوله: وأمر بالعرف؛ تناول جميع المأمورات والمنهيات، وانهما ما عرف حكمه؛ واستقر في الشريعة موضعه؛ واتفقت القلوب على علمه ، وقوله وأعرض عن الجاهلين تناول جانب الصفح بالصبر الذي يتأتى للعبد به كل مراد في نفسه وغيره(١).

فالآيات القرآنية المتعلِّقة بموضوع الأخلاق كثيرة ومتضافرة، أمرًا بالحسَن منها، ومدحًا للمتَّصِفين به، ومع المدح الثواب، ونهيًا عن القبيح منها وذم المتصفين به، ومع الذمِّ العقاب.

ولا شك أن كثرة الآيات في موضوع الأخلاق يَدُل على أهميتها.

---

(١) العربي، محمد بن عبد الله. أحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ طبع) ، ٦٣٦/٢.

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

ومما يزيد هذه الأهميةَ أن هذه الآيات منها ما نزل في مكة قبل الهجرة، ومنها ما نزل في المدينة بعد الهجرة، مما يدل على أن الأخلاق أمر مهم جدًّا لا يستغني عنه المسلم في أي وقت، وأن مراعاة الأخلاق تَلزَم المسلمَ في جميع الأحوال؛ فهي تُشبِه أمور العقيدة من جِهة عناية القرآن بها في السور المكيَّة والمدنيَّة على حد سواء.

كذلك كثرة الأحاديث في موضوع الأخلاق التي تمدح حُسْن الخُلُق إجمالاً وتفصيلاً، وتذم سيئ الأخلاق إجمالاً وتفصيلاً، وهذا يقطع بأهمية الأخلاق ومكانتها في الإسلام.

بل إن الرسول صلى الله عليه و سلم بين أن الغاية من بعثته إنما هي إتمام صالح الأخلاق فقال عليه الصلاة والسلام: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))(٢).

قال الغزالي -رحمه الله- (ت ٥٠٥): (الخلق الحسن أفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين، وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين، والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة))(٣).

فالناس على اختلاف مشاربهم يحبون محاسن الأخلاق، ويألفون أهلها، ويبغضون مساوئ الأخلاق ، وينفرون من أهلها ، فحسن الخلق يتضمن عبادات عظيمة؛ ذلك أن الصبر، والحلم، والعفة، والإحسان والكرم ، ونحوها تعد من الأسس الأخلاقية الإسلامية.

ومن أهم هذه الأسس الأخلاقية خلق العفة فهي تحمل على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل وتحمل على الحياء وهو رأس كل خير، وتمنع من الفحشاء، والبخل، والكذب، والغيبة، والنميمة(٤).

---

(٢) أخرجه ابن حنبل، أحمد بن محمد. المسند، (بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ) رقم (٣٨١)، والبخاري، محمد بن إسماعيل. الأدب المفرد، (الرياض، السعودية: مكتبة دار المعارف، ١٩٩٨م) رقم (٢٧٣)، والنيسابوري ، الحاكم بن محمد. المستدرك على الصحيحين، (بيروت ، لبنان: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠م)، رقم (٢١٣)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ، ٦١٣/٢، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الأدب المفرد، (الجبيل ، السعودية: مكتبة الدليل ، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م). رقم (٢٠٧/١).

(٣) المناوي ، زين الدين محمد. فيض القدير شرح الجامع الصغير، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥١هـ).(٤٤٦/٢).

(٤) انظر: ابن القيم ، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، (القاهرة ، مصر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١م). (٢٩٤/٢).

المبحث الأول:

العفة في القرآن الكريم، تعريفها ، مكانتها ، أهميتها

المطلب الأول: مفهوم العفة لغة واصطلاحاً:

١- العفة لغة: مصدر عفَّ يقال: عَفَّ عن الحرام يعِفُّ عِفَّةً وعَفًّا وعَفَافَةً أي: كفَّ، فهو عَفٌّ وعَفِيفٌ والمرأة عَفَّةٌ وعَفِيفَةٌ وأعَفَّهُ الله، واسْتَعَفَّ عن المسألة أي: عفَّ، وتَعَفَّفَ: تكلف العِفَّةَ(٥).

والعِفة الكَفُّ عما لا يَحِلُّ ويَجْمُل، والاسْتِعْفاف طَلَبُ العَفافِ(٦).

٢- التعريف الاصطلاحي لمفهوم العفة:

قيل هي: (هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة، والخمود الذي هو تفريطها، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة)(٧).

وقيل هي: (ضبط النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد، ويحفظ صحته فقط، واجتناب السَّرف في جميع الملذات وقصد الاعتدال)(٨).

وقيل هي: (ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسطة من إفراط وهو الشره وتفريط وهو جمود الشهوة)(٩).

والخلاصة أن العفة في مفهومها العام تعني: التنزّه عن الرّذيلة والفحشاء بين الرّجال والنساء، واقتصار العلاقة بينهما في حدود الزواج الشّرعي الذي يحفظ حقّ الأسرة، ويضمن سلامة وصحّة النسل كما أنها حفظ النّفس عمّا يقبحها وعمّا يشينها بكرامتها، ولذلك عّدة مجالات: فحفظها عن الوقوع في الفواحش إعفافٌ لها، وحفظها عن سؤال النّاس إعفافٌ لها عن الوقوع في سبب المذلّة، والكف عن المحارم وخوارم المروءة إعفاف لها..

---

(٥) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، (بيروت ، لبنان: دار صادر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ)، (٩/ ٢٥٣) والرازي ، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، (بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ، ١٩٨٦م) (٤/١٤٠٥).

(٦) انظر: مجموعة من الباحثين. نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (جدة: دار الوسيلة، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٤م). (٧/٢٨٧٢).

(٧) الجرجاني، علي بن محمد بن علي. التعريفات، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ص(١٥١).

(٨) الجاحظ، عمر بن بحر. تهذيب الأخلاق ، (طنطا ، مصر: دار الصحابة للتراث ، ١٩٨٩م) ص(٢١).

(٩) الأصفهاني ، الحسين بن المفضل. الذريعة إلى مكارم الشريعة، (القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٧م)، ص (٣١٨).

المطلب الثاني: مكانة العفة في القرآن الكريم:

التشريعات القرآنية تدور على حفظ الضرورات الخمس التي لا تقوم الحياة إلا بها وهي: حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العرض، حفظ المال، حفظ النسل والعفة والاستعفاف منهج قرآني لتحقيق حفظ وصيانة الضرورات الخمس بكافة أقسامها إذ أن كل قسم منها قائم على نوع من نوعي العفة سواء كانت العفة عن الأعراض أو العفة عن الأموال ولقد تضافرت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة رضوان الله عليهم –أجمعين–.

ومن هذه الأدلة قوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} (سورة النور: الآيتين ٣٠-٣١).

ويقول سبحانه: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} (سورة النور: الآية ٣٣).

وقد بين الإمام القرطبي –رحمه الله– (ت ٦٧١هـ) في تفسيره بعض مقاصد سورة النور ومنها ذكر أحكام العفاف والستر (١٠) ولذلك تضمنت في آياتها العظيمة الكثير من التشريعات والأحكام والآداب ففيها: أحكام العشرة الزوجية، وآداب الاستئذان، وأحكام القذف واللعان، وتحريم البغاء، والأمر بالعفاف.

وفي السنة النبوية: ((إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم. حتى إذا نفد ما عنده. قال: ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم. ومن يستعفف يعفَّه الله، ومن يستغنِ يغنه الله. ومن يصبر يصبره الله. وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر))(١١).

---

(١٠) القرطبي ، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن الكريم ، (بيروت ، لبنان: مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٦م). (١٥/١٠٠).

(١١) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل، (القاهرة: دار التأصيل، ٢٠١٢م)، برقم: (٦١٠٥)، والنيسابوري، مسلم بن الحجاج. الصحيح، (بيروت: دار الرسالة ، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م)، رقم: (١٠٥٣).

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

في الحديث الحض على التعفف والتصبر، وأنَّ ذلك أفضل ما أعطيه الإنسان، وفي هذا كلِّه نهي عن السؤال، وأمر بالقناعة والصبر(١٢).

ومن عظمة التشريع القرآني أنه حمى الإنسان قبل أن يتكون في بطن أمه حيث جعل وجوده شرعياً ، عن طريق العشرة الزوجية التي حللها الله تعالى ، وحرص على اختيار الزوجة الصالحة لكي يكون قوام الأسرة صالحاً ومتيناً، كما حمى العلاقة الزوجية من أي خيانة أو إهانة تصدر عن أي من الزوجين وجعل عقوبة الزنا للمحصن أو المحصنة القتل رجماً إذا ثبت عليه أو عليها ذلك.

كما حمى الإسلام الأسرة من اعتداء الآخرين عليها ولو بالقول، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (سورة النور: الآية: ٤) وبذلك كفل للأسرة التي هي نواة الأمة ما يحفظ لها كيانها واستقرارها(١٣).

المطلب الثالث: أهمية العفة في القرآن الكريم:

المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أنها تعتمد في توجيه الإنسان على الوقاية أكثر من اعتمادها على العلاج، وذلك لأن الإنسان مولود على الفطرة السليمة التي هي الإيمان بالله ، ومن هنا فقد أولى الوحي هذه الفطرة عناية كبيرة فشرع لصيانتها من الشرائع ما يحفظها من الانحراف ويقيها من الانتكاس.

فقد شرع القرآن الكريم منهجاً علاجياً للنفوس قائماً على تقوية رقابتها الذاتية وربطها بخالقها في كل تصرفاتها وأفعالها ومن أبرز أسس هذا المنهج حفاظه على وقاية المجتمع من الانحراف وانتشار الفساد عبر حمله الناس على الأخذ بخلق العفة ووضعه لجملة من التدابير الوقائية للحفاظ عليها ومعاقبة مخالفيها.

وللعفة في القرآن الكريم أنواع متعددة ومتنوعة، تدل على أهميتها وضرورة التخلق بها في حياة المسلم ، وذلك لأنها تصلح شأنه وشأن جماعته ومجتمعه، فينعم بسعادة الدارين، الدنيا والآخرة، وهذه الأنواع كما يلي:

---

(١٢) انظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (المغرب: وزارة الأوقاف المغربية، ١٤١٢هـ)، (١٣٣/١٠).

(١٣) للاستزادة: ينظر: بن مفلح ، محمد بن مفلح المقدسي. الآداب الشرعية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م) (٢١٧/٢).

أولاً: أنواع العفة:

العفة نوعان: أحدهما العفة عن المحارم، والثاني العفة عن المآثم.

فأما العفة عن المحارم فنوعان:أحدهما: ضبط الفرج عن الحرام.والثاني: كف اللسان عن الأعراض.

فأما ضبط الفرج عن الحرام؛ فلأنه مع وعيد الشرع، وزاجر العقل معرة فاضحة، وهتكة واضحة.

وأما العفة عن المآثم فنوعان: أحدهما: الكف عن المجاهرة بالظلم.

ثانيا: زجر النفس عن الإسرار بخيانة(١٤).

قال النووي –رحمه الله– (ت ٦٩٦ هـ): ((أما العفاف والعفة؛ فهو التنزه عما لا يباح، والكف عنه، والغنى هنا غنى النفس، والاستغناء عن الناس، وعما في أيديهم))(١٥).

ولا يكون الإنسان تام العفة حتى يكون عفيف اللسان والسمع والبصر – الجوارح– فعفة اللسان تشمل عدم السخرية: وعفة اللسان تشمل: عدم التجسس، وعدم الغيبة، والنميمة، والهمز، والتنابز بالألقاب.

وعفة البصر تشمل: عدم مد البصر إلى المحارم، وزينة الحياة الدنيا.
وعفة السمع تشمل: عدم سماع كل ما هو قبيح ومحرم من المسموعات.
إذاً: الذي يجلس ويسمع ما يغضب الله لا نستطيع أن نصفه بأنه عفيف.
وعفة اللسان وعفة الأذن وعفة البصر من تمام العفة .وجماع العفة: أن تحفظ الجوارح، ولا يطلقها صاحبها في شيء يغضب الله عز وجل(١٦).

وقد فصل القرآن الكريم تلك الصفات الفطرية للإنسان؛ كما فصل صفات المجتمع السليم في عدة آيات فتكون منها الصراط المستقيم الذي أمرنا أن نطلب منه سبحانه الهداية إليه في كل صلاة؛ صراط الذين انعم عليهم ربهم فلم يغضبوه ولم يضلوا عن طريقه ، وهذه الأخلاق الفطرية يعتبرها الإسلام معروفة لدى الجميع، ولذلك يعتبرها هي (العرف) المأمور به كما أن عكسها هو (المنكر) المنهي عنه فالتشريع

---

(١٤) انظر: الماوردي، علي بن محمد. أدب الدنيا والدين ،(بيروت: دار الحياة ، ١٩٨٦م) ص(٣٢١ وما بعدها).

(١٥) النووي ، يحي بن شرف. شرح النووي على صحيح مسلم، (القاهرة: دار الخير ، ١٩٩٦م) رقم (٢٧١٦) (١٧/ ٤١).

(١٦) انظر: الأصبهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، (ص٣١٨). مرجع سابق.

الإسلامي خاضع للعرف، ولكن العرف في الإسلام ليس هو ما يتعارف عليه مجتمع ما ولكنه ما تعارفت عليه الإنسانية منذ نشأتها ولم يخرج عنه دين من الديانات ولا مذهب من المذاهب السليمة(١٧).

ثانياً:أسباب العفة:

١- الخوف من الله عز وجل.

٢- حسن الجزاء في الآخرة والظفر بالجوار الحسان.

٣- الخوف من العار.

٤- الحياء.

٥- عفة محبوبه ونزاهته.

٦- طيب السيرة وحسن الذكر.

٧- الإبقاء على جاهه ومروءته وقدره عند الناس.

٨- شرف نفسه وعلو همته.

٩- لذة الظفر بالعفة؛ لأن العفة لذة أعظم من لذة قضاء الوطر.

١٠- علمه بالمضار والمفاسد من اللذة المحرمة وجميع أنواع الفجور وخلل الشر كله(١٨).

فالعفة أو الحياء أحد الفضائل التي تدل على حسن الخلق ونقاء الجوهر وحسن السريرة ، ويأتي في مقابل العفو الدناءة والخسة في كثير من صورها ، والحسد الذي يتمنى فيه الإنسان زوال النعمة عن الآخرين.

ثالثا: شروط تحقيق العفاف ليس كل من ترك الحرام يحصل على لذة العفاف ويتذوقها لكن هناك شروط من حققها وأقامها يرجى له الفوز بتذوق تلك اللذة ومنها:

١- الإخلاص لله في ترك الحرام: فلا يتركه طلبا في مدح الناس، لا خوفا من لومهم وعتابهم، وكذلك خوفا من العار والفضيحة بين الناس دون النظر في مراقبة الله وال

---

(١٧) انظر: الفاسي، علال. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٩٩١م) (١٩٥ وما بعدها).

(١٨) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر. روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٣١هـ) ص(١٢٣).

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

٢- خوف منه، فهذا لا شك أنه أفضل من فعل الحرام لكنه قد لا يجد لذة للعفاف والترك بخلاف ما إذا ترك ذلك خوفا من الله.

٣- أن يتعفف عن الحرام لذاته لأنه حرام، لا لأجل أن يحصل على ما هو أكبر منه وأشد، كالذي يتعفف عن مبلغ زهيد لينال مبلغا أكبر وإن لم يظهر ذلك فهذا وإن تعفف لن يذوق لذة ذلك العفاف.

٤- أن يتعفف مع الرغبة في الشيء أما من يتعفف لأنه لا رغبة عنده بما تعفف عنه فإنما ترك ما لا يرغب فيه فهو وإن كان ترك محرما يحمد شرعا إلا أننا نقصد الذي يريد أن يتذوق لذة العفاف.

٥- يترك مع تحرك الشهوة ووجودها أما مع برودها وجمودها فهذا لا فرق عنده بين التعفف والاقتراف ولم يحرص على لذة الحرام لكن تيسر له، فإن فاته لا فرق عنده وإن حصل له لا فرق فهذا لن يعرف لذة الترك.

-6أن يكون قادرا على القيام بالحرام متمكنا من ذلك(١٩).

---

(١٩) للاستزادة انظر: العقيلي ، يحي بن سليمان. العفة ومنهج الاستعفاف، (الكويت: دار الدعوة ، ١٩٩٨م) ص (٩٥ وما بعدها).

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

المبحث الثاني:

أساليب القرآن الكريم في توفير العفة

بين سبحانه وتعالى في فاتحة سورة النور شناعة جريمة الزنى، وتحريمه تحريماً غائباً، إلى تمام ثلاث وثلاثين آية أربع عشرة وسيلة وقائية، تحجب هذه الفاحشة، وتقاوم وقوعها في مجتمع الطهر والعفاف جماعة المسلمين، وهذه الوسائل الواقية: فعلية، وقولية، وإرادية(٢٠).

إن القرآن الكريم في أساليبه الوقائية لم يقل: ولا تزنوا ، بل قال: ولا تقربوا ، ومعنى ذلك أن هناك خطوات وأعمال إذا فعلها الإنسان كان من الزنا قاب قوسين أو أدنى، منها:

١- الحث على المبادرة إلى الزواج:

من أبرز معالم منهج القرآن الكريم في توفير العفة والحفاظ عليها ندبه للمسارعة في الزواج وكراهيته للتأخر عن الإقدام عليه مع توفر دواعيه بدون سبب ، حيث أمر الله كل ولي أن يُنكح من في ولايته، قال الله تعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (سورة النور: الآية ٣٢).

والصلاح هنا: إما صالحاً في دينه أو صالحاً للزواج وإن الزواج عبادة وعفة وبناء، وهو سمة للحياة السوية المستقرة فلا أقل أن يجد الرجل أو المرأة ما يعفهما (٢١).

٢- تحريم الزنا والشذوذ بكافة أنواعهما:

من أساليب القرآن الكريم في توفير العفة والحفاظ عليها تحريمه للزنا والشذوذ وتشنيعه على أهله بل وتوعدهم على فعلهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة ومن ذلك أن القرآن الكريم جعل الزنا خبثاً وفسقاً شنيعاً فقال تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} (سورة الفرقان: الآية: ٦٨).

وقال تعالى في تحريم الشذوذ: {وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ} (سورة الأنبياء: الآية: ٧٤).

---

(٢٠) انظر: أبو زيد ، بكر بن عبد الله. حراسة الفضيلة ، (الرياض: دار العاصمة ، ١٤٢٥هـ)، ص (٢٦).

(٢١) ابن سعدي ، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، (الرياض: مكتبة دار السلام ، ط الثانية ، ٢٠٠٢م) (٢٤٩/١).

قال محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- (ت ١٣٩٣هـ): ((أمر الله جل وعلا المؤمنين والمؤمنات بغض البصر، وحفظ الفرج: حفظه من الزنى، واللواط، والمساحقة، وحفظه من الإبداء للناس والانكشاف لهم، وقد دلت آيات أخرى على أن حفظه من المباشرة المدلول عليه بهذه الآية يلزم عن كل شيء إلا الزوجة والسرية))(٢٢).

وإذا ظهر اللواط في مجتمع فإن الله يعاجل أهله بالعقوبة، فتحل الكوارث والأسقام، وتنتشر الأوبئة والأمراض، ويخيم الظلم ويعم الفساد في الأرض، نسأل الله السلامة والعافية.

٣- أمره النساء بالقرار في البيوت:

من أساليب القرآن الكريم في توفير العفة لفتته الحانية إلى المرأة، ودعوته لها إلى أن تقر في بيتها، قرار يقطع عنها دابر الفتنة، ويحول بينها وبين الشرور والمصائب، ويحفظ لها كرامتها وحياءها ، وليس معنى هذا أن القرآن الكريم يدعو إلى مصادرة كرامة المرأة وإلغاء إنسانيتها، وإنما المراد أن تظل جوهرة مصونة يتجدد لها حياؤها، وتحفظ لها كرامتها، مادامت بعيدة عن الرجال ومن ذلك: قول الله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} (سورة الأحزاب: الآية: ٣٣).

قال القرطبي – رحمه الله – (ت ٦٧١): ((معنى هذه الآية: الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى، هذا لو لم يرد دليل يخصُّ جميعَ النساء، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة))(٢٣).

إن الأمر بقرار المرأة في بيتها منهج وقائي عظيم في حفظ الأسرة من الضياع، وحماية عمودها من الشرور والفتن والآثام، الأمر الذي ينعكس أثره الإيجابي لا على أفراد الأسرة كلها فحسب، بل على المجتمع كله، والأمة كلها، فما الفرد إلا نواة الأسرة، وما الأسرة إلا نواة المجتمع، وما المجتمع إلا نواة الأمة كلها(٢٤).

٤- أمره النساء بالحجاب الشرعي:

من أساليب القرآن الكريم في توفير العفة أمره النساء بالحجاب، ولا يعني ذلك تعطيل دورهن في الحياة، أو إلغاء حريتهن، أو تحجيم مهمتهن، ولكن ذلك يعني صيانة الأفراد والأسر والمجتمعات من الكوارث

---

(٢٢) الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ) (٦/٢٠٨-٢٠٩).

(٢٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٧٦)، مرجع سابق.

(٢٤) انظر: الحدري، خليل بن عبد الله. التربية الوقائية في الإسلام، (مكة: جامعة أم القرى، ١٤١٨) ص٣٨٩ وما بعدها بتصرف واختصار.

الأخلاقية

قال الله تعالى: {يا أَيُّهَا النبي قُل لأزواجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} (سورة الأحزاب: الآية:٥٩).

قال الشوكاني –رحمه الله– (ت ١٢٥٠هـ): ((لما فرغ سبحانه من الزجر لمن يؤذي رسوله والمؤمنين والمؤمنات من عباده أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يأمر بعض من ناله الأذى ببعض ما يدفع ما يقع عليه إلى إدناء الجلابيب ، فذلك أقرب أن يعرفن فيتميزن عن الإماء ويظهر للناس أنهن حرائر.. ثم توعد سبحانه وتعالى أهل النفاق والإرجاف عما هم عليه من النفاق))(٢٥).

فالحجاب ليس هو مجرد ستر بدن المرأة، بل هو عنوان لتلك المجموعة من الأحكام الاجتماعية المتعلقة بوضع المرأة في النظام الإسلامي، والتي شرعها الله سبحانه وتعالى لتكون الحصن الحصين، الذي يحمي المرأة ، والسياج الواقي الذي يعصم المجتمع من الافتتان بها، والإطار المنضبط الذي تؤدي المرأة من خلاله وظيفة صناعة الأجيال، وصياغة مستقبل الأمة ، وبالتالي المساهمة في نصر الإسلام(٢٦).

٥– نهيه النساء عن التبرج وإظهار الزينة:

قال الله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولَى} (سورة الأحزاب: الآية:٣٣).

نهاهن عن تبرج الجاهلية وهو إظهار الزينة والمحاسن كالرأس والوجه والعنق والصدر والذراع والساق ونحو ذلك من الزينة، لما في ذلك من الفساد العظيم والفتنة الكبيرة وتحريك قلوب الرجال إلى تعاطي أسباب الزنا، وإذا كان الله سبحانه يحذِّر أمهاتِ المؤمنين من هذه الأشياء المنكرة مع صلاحهن وإيمانهن فغيرهن أولى وأولى بالتحذير والإنكار والخوف عليهن من أسباب الفتنة (٢٧).

٦– الأمر بغض الأبصار وحفظ الفروج:

قال الله تعالى: ((قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ..) الآيتين (٣٠–٣١).

---

(٢٥) الشوكاني ، محمد بن علي. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (المنصورة: دار الوفاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧م) ٤٠٢/٤.

(٢٦) انظر: المقدم، محمد بن أحمد. عودة الحجاب ، (الرياض: دار طيبة، ١٤١٠هـ) ص (٨٩).

(٢٧) انظر: ابن باز، عبد العزيز. حكم السفور والحجاب، مجلة البحوث الإسلامية، (الرياض: العدد ١٤ ، ١٤٠٥هـ – ١٤٠٦هـ) ص(١٣٧).

قال محمود الألوسي –رحمه الله– (ت ١٩٢٤م): ((بدأ سبحانه بالإرشاد إلى غض البصر لما في ذلك من سد باب الشر فإن النظر باب إلى كثير من الشرور وهو بريد الزنا وراء الفجور)) (٢٨).

فقد حرم القرآن الكريم النظرة المحرمة للمرأة سواء كان النظر على الطبيعة أو عبر الصورة.

٧– النهي عن مصافحة المرأة الأجنبية:

والأصل في ذلك هديه صلى الله عليه وسلم، فقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم النساء ولم يصافحهن وإنما بايعهن كلاماً.

تقول عائشة رضي الله عنها: ((والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: قد بايعتك على ذلك))[٢٩].

فمجرد ملامسة الرجل لجسد المرأة عن طريق المصافحة والقبض على اليد قد يحدث فتنة عظيمة، تتحرك على أثرها النفوس وتثور لأجلها العواطف، ويتحرك الشيطان ليوقع في القلوب مرض الشهوة الذي يحدث فساداً عظيماً.

٨– النهي عن إظهار الزينة لغير المحارم:

قال الله تعالى: {وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَ} (سورة النور: الآية: ٣١).

قال محمد الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – (ت ١٩٩٣هـ): ((أردف أمر المؤمنين بأمر المؤمنات ؛ لأن الحكمة في الأمرين واحدة، وتصريحا بما تقرر في أوامر الشريعة المخاطب بها الرجال من أنها تشمل النساء أيضا. ولكنه لما كان هذا الأمر قد يظن أنه خاص بالرجال ; لأنهم أكثر ارتكابا لضده وقع النص على هذا الشمول بأمر النساء بذلك أيضا(٣٠).

٨– النهي عن الخضوع بالقول:

لما فيه من تحريك القلوب المريضة التي ربما تعلقت بالمرأة لمجرد سماع صوتها الرخيم ، قال الله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} (سورة الأحزاب: الآية: ٣٢).

فالآية الكريمة نهت المؤمنات أن يتكسرن في الكلام ولكنها لم تحرم عليهم الكلام مطلقاً لكونه ضرورة لا بد منها ، ولكنها حرمت أن يُسخر القول ليكون فتنة ربما تسبب في الإفساد.

---

(٢٨) الألوسي ، محمود شكري. تفسير الألوسي ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠٢م) (١٣٩/١٨).

[٢٩] أخرجه البخاري برقم (٢٥١٢)، ومسلم برقم (٣٤٧٠).

(٣٠) ابن عاشور ، محمد بن الطاهر. التحرير والتنوير ، (تونس: دار سحنون ، ١٩٩٧م) ، (٢٠٥/١٩).

الجديد والطريف NEW & EXCLUSIVE

٩- تحريم الخلوة بالأجانب وتحريم سفرها بلا محرم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يقول: (لا يخلوَنَّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم)، فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجةً، وإني اكتُتِبتُ في غزوة كذا وكذا، قال: (انطلق فحج مع امرأتك)(٣١).

والخلاصة: أن القرآن الكريم يحذر من مجرد الاقتراب من الزنا؛ وهي مبالغة في التحرز، لأن الزنا تدفع إليه شهوة عنيفة، فالتحرز من المقاربة أضمن، فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان، ومن ثم يأخذ القرآن الطريق على أسبابه الدافعة، توقياً للوقوع فيه، فيكره الاختلاط لغير ضرورة، ويحرم الخلوة مع الأجنبية ، وينهى عن التبرج بالزينة، ويحض على المسارعة إلى الزواج، ويكره الحواجز التي تمنع من الزواج كالمغالاة في المهور، وينفي الخوف من العيلة والإملاق بسبب الأولاد، ويحض على مساعدة من يبتغون الزواج ليحصنوا أنفسهم(٣٢).

---

(٣١) للاستزادة ينظر: قطب، سيد. في ظلال القرآن ، (القاهرة: دار الشروق ، طبعة ١٧ ، ١٤١٢هـ) (٢٢٢٤/٤).

(٣٢) انظر:

المبحث الثالث:

آثار الحفاظ على العفة في المجتمع الاسلامي

المجتمع المسلم محافظ متسامح يَعِفُّ رجاله عن القبائح والمنكرات، كما تَعِفُّ نساؤه، يحملهم على ذلك إيمانُهم بالله تعالى، وامتثالهم لأمره، وتمسُّكهم بقيَم دينِهم وتعاليمه.

وهذه المبادئ سامية دعا إليها القرآن الكريم وشدد عليها بقوة، وهي التحلي بمكارم الأخلاق التي تكسب الإنسان احترام ومحبة الآخرين له وقبل كل شيء احترامه لنفسه، لكن عندما يضيع القلب وينغمس في الملذات والشهوات ويتبع صاحبه طريق الفساد تضيع تلك المبادئ والأخلاق ولا يصبح لها مكان في قلبه، ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى تفشي ظاهرة الفساد في المجتمع ، وأثرت بشكل سلبي على أبنائه الانحلال الأخلاقي وما يتبعه من مظاهر التبرج والسفور وغير ذلك من المحرمات التي نهى عنها الإسلام حفاظاً على العفة والطهارة فهذه الأسباب وغيرها تساهم في تفشي الفساد والرذيلة في المجتمع ويكون لها أثر كبير على الأفراد خصوصا عند ضعاف الإيمان.

ولقد جعل الله جل وعلا في شرائع دين الإسلام، وفي كل أمر ونهي حكمة بالغة تنصلح بها الحياة في كل زمان ومكان، فالزواجر والحدود التي شرعها الله، ونظمتها تعاليم الإسلام، ليست إلا وقاية للمجتمع من تسلط فئة على فئة، وحماية لأفراده وأمنه من أصحاب النزعات الشريرة (٣٣).

إن أمن المجتمعات، وسلامة أفرادها، ورغد عيشها، مرهون بتطبيق الإسلام جملة وتفصيلاً في كل ناحية من ناحية الحياة، لأن الإسلام هو الدين العالمي الوحيد الذي ارتضاه تعالى لتنظيم شؤون الحياة كلها بلا استثناء ، فإذا شرعت الأبواب في أي مجتمع للعفة ظهر الخير في الناس ، واختفت معالم الشر والرذيلة، واستحيا المتفلت على أمر الله تعالى، وعندها تقل نسب الجرائم ، لتبقى العقوبة الرادعة الزاجرة، لقلة قليلة لا تقف عند الأمر والنهي، فيكون جزاء هذه الفئة القليلة في تطبيق العقوبات رحمة من الله تعالى بعباده، كما يقول احمد بن تيمية – رحمه الله- (ت ٦٦١هـ): ((وقد شرعت الحدود رحمة من الله بعباده))(٣٤).

إن المجتمعات الإسلامية إن كانت تريد الخير لناشئتها التي هي أعظم ثرواتها على الإطلاق في حاجة إلى أن تأخذ بسبل الوقاية قبل أن توقع العقوبة، أما مادامت تفتح الأبواب أمام تهييج الغرائز

---

(٣٣) انظر: الشويعر ، محمد بن سعد. الوقاية من الجريمة ،(الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٨م) ص (٤٥).

(٣٤) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. مجموع الفتاوى، (الرياض: وزارة الأوقاف السعودية، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٩هـ) (٢٨/ ٣٣٠).

الفطرية، وإثارة الشهوات واللذائذ الجنسية، فلن تجني إلا مزيداً من الكوارث الأخلاقية، والنكبات الاجتماعية وغير ذلك مما في علم الله من العقوبات التي ليست من الظالمين ببعيد(٣٥).

ولقد باتت الفاحشة المهدد الأكبر لإيمان الأمة بانتزاعه، وللشباب خاصة بسلبهم العفة التي في قلوبهم. بل أصبح الأعداء يضربون على هذا الوتر من خلال أدوات لا تكاد تخفى تبعاتها حتى على المتضررين منها.

– ومن أهم هذه الآثار:

١– البعد عن طريق الفجور والفواحش بالتزام منهج القرآن الكريم في الأخذ بالعفة ظاهراً وباطناً قال الله تعالى: {وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ} (سورة الأنعام: الآية: ١٢٠).

٢– حفظ الأعراض: فالعفة: حراسة شرعية للأعراض ودفع لأسباب الريبة والفتنة وحصانة ضد الزنى والإباحية وصيانة للمرأة من المهانة والاستغلال قال الله تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} (سورة النور: الآية: ٣٣).

٣– حراسة الفضيلة في المجتمع: فالعفة سياج رادع قال الله تعالى: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} (سورة النساء: الآية ٢٧).

٤– تحقيق المروءة التي ينال بها الحمد والمجد والشّرف في الدّنيا والآخرة الّتي تقود إلى الارتقاء في سماء الفضيلة، والبعد عن حضيض الرّذيلة، والوقوف بالشّهوات عند الحدّ الّذي خلقت من أجله، وفق المنظور الشرعي، والمفهوم الأخلاقي.

قيل لسفيان بن عينية –رحمه الله– (ت ١٩٨هـ) قد استنبطت من القرآن كل شيء فهل وجدت المروءة فيه ؟ فقال: نعم في قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} (سورة الأعراف: الآية:١٩٩).

٥– تسلم به المجتمعات، ويحفظ به الأمن، قال تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} (سورة النحل، الآية: ٤٥).

---

(٣٥) للاستزادة ينظر: الشنقيطي، عبد الله. علاج القرآن الكريم للجريمة، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية ، ١٩٩٢م) ص٤٩ وما بعدها).

٦- الفلاح بثناء الله تعالى: قال تعالى {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) سورة المؤمنون: الآيات (١- ٦).

٧- الفوز بالجنّة والنّعيم المقيم في الآخرة قال تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (سورة المؤمنون: الآيتين: ١٠-١١).

٨- قوّة القلب ونعيمه وطيب النّفس وانشراح الصدر؛ فصاحب العفّة مستريح النّفس مطمئن قال الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (سورة الأنعام: الآية: ٨٢).

٩- السلامة والنّجاة من نار السموم: قال الله تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} (سورة الفرقان: الآية: ٧٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: ((ثلاثة لا ترى أعينهم النّار: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفّت عن محارم الله))(٣٦)، ومعنى غضت عن محارم الله: انصرفت عنها، ولم تنظر إليها؛ قال زين الدين المناوي -رحمه الله- (ت ١٠٣١هـ): "أي: خفضت وأطرقت"(٣٧).

١٠- وفرة العقل ونزاهة النّفس وكمالها وعزّها وقلة الهم والحزن والغم.

قال ابن حزم -رحمه الله- (ت ٤٥٦ هـ): ((أصول الفضائل كلها أربعة عنها تتركب كل فضيلة، وهي العدل، والفهم، والنجدة، والجود و وأصول الرذائل كلها أربعة عنها تتركب كل رذيلة وهي الجور، والجهل، والجبن، والشح))(٣٨).

١١- تنمية روح الغيرة في النّفس والتي هي سياج منيع لحماية المجتمع من التردّي في مهاوي الرّذيلة والفاحشة قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (سورة النور: الآية: ١٩)(٣٩).

---

(٣٦) أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٤م) رقم (٢٢٣٤) وقال عنه: الألباني ، محمد ناصر الدين ، حديث حسن لغيره ، صحيح الترغيب والترهيب ، (الرياض: مكتبة المعارف، ٢٠٠٠م) رقم (١٩٠٠).

(٣٧) المناوي ، زين الدين، فيض القدير (٣/٣٦٦) مرجع سابق.

(٣٨) ابن حزم ، علي بن أحمد. الأخلاق والسير في مداوة النفوس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م) ص (٥٩) .

(٣٩) للاستزادة ينظر: المصري، محمد أمين. المجتمع الإسلامي، (الكويت: دار الأرقم ، ١٩٨٠م) ص ٨٢ وما بعده ، وانظر: الفوزان، صالح. دروس من القرآن الكريم، (الرياض: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد)، (ص٧٧).

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

إن منهج القرآن في تربية المجتمع تبدأ بتربية الأفراد تربية إيمانية صحيحة ، لأن هؤلاء الأفراد هم الذين يشكلون في نهاية المطاف المجتمع المسلم، وفي الأخذ بخلق العفة وقاية للمجتمعات من الانحراف والتفكك والانهيار؛ لأنها تزرع الطهارة في النفوس بحافز ذاتي، ودافع إيماني، لأنه يرجو بذلك ما عند الله تعالى من خير وثواب ويخشى عذاب الله تعالى وسخطه حين يخون أو يغدر أو يسرق قال الله تعالى في قصة الكريم ابن الكريم يوسف –عليه السلام–: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} (سورة يوسف: الآية: ٢٣).

فإذا ما تخلق كل فرد من أفراد المجتمع بهذا الخلق النبيل، وجد المجتمع المثالث الذي يسير على هدي سماوي، ومنهج رباني.

وخلاصة القول: إن في منهج القرآن الكريم حفظاً للمجتمع وصيانة له من الانحراف في كل جانب من جوانب الحياة، فإذا انتشرت القيم نمت آثارها الطيبة في حياة الأفراد، فتحقق لهم رغد العيش وسعة الرزق من كل جانب، وتحقق لهم من جانب آخر نعمة الأمن والاستقرار، وتحقق لهم الثبات على الإيمان ، وتحقق لهم فوق ذلك كله الثواب العظيم من الله تعالى، والهداية إلى صراطه المستقيم في كل عمل من أعمال دينهم ودنياهم وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (سورة النساء: الآيات ٦٦، ٦٧، ٦٨,٦٩).

إن القرآن الكريم هو أعظم منهج يهدي للتي هي أقوم في كل ميدان من ميادين الحياة، وفي كل جانب من جوانبها فهو دين ودنيا، وآخرة وأولى وبغير منهاجه نظل ونشقى، ونذل ونخزى.

الخاتمة:

قسمت البحث إلى تمهيد تحدثت فيه عن مكانة الأخلاق في القرآن الكريم، وثلاثة مباحث: المبحث الأول تضمن بياناً عن العفة في القرآن الكريم، تعريفها، مكانتها، أهميتها. والمبحث الثاني: تضمن المبحث الثاني: أساليب القرآن الكريم في توفير العفة بينت فيه جملة من أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى توفير العفة ومنهاجه في الحفاظ عليها، والمبحث الثالث: تضمن آثار الحفاظ على العفة في المجتمع الإسلامي حوى جملة من آثار التمسك بخلق العفة على الأفراد والمجتمعات.

أ- نتائج البحث:

يمكن إيجاز أبرز نتائج هذا البحث في النقاط التالية:

١- ضرورة دراسة القضايا التي تمس واقع المجتمعات الإسلامية، دراسة موضوعية، وربطها بالكتاب والسنة ، وإيجاد الحلول المناسبة منهما لكل مشكلات الحياة.

٢- وضع القرآن الكريم منهجاً اجتماعياً متكاملاً في حفظ الأعراض والذود عنها، وذلك عبر منظومة متكاملة من التشريعات الوقائية التي تحول بين المؤمنين وبين الوقوع في المحرمات كل ذلك من شأنه أن يقي المجتمع المسلم ويلات الإثم والفجور.

٣- أن القرآن الكريم قد حافظ على العفة ودعا إليها ، وعالج كل ما قد يتطرق لها من خلل أو خيانة أو سوء خلق، وحث على استيعاب العاصين وبذل الجهد في إصلاحهم.

ب- التوصيات:

يوصي الباحث في ختام بحثه بضرورة الإفادة من منهاج القرآن الكريم في توفير العفة خاصة مع زيادة اختلاط النساء بالرجال في بعض المجتمعات الإسلامية اليوم، وفي معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية والمشاكل الأخلاقية التي يعاني منها المجتمع الإسلامي اليوم فمنهاجه كفيل بحل كل القضايا الشائكة ، والمشكلات الاجتماعية المعقدة في كل زمان ومكان إلى يوم الدين.

ج- المقترحات:

من المقترحات الهامة التي يقترحها الباحث أن تقو وزارت التربية والتعليم بالعالم الإسلامي بإيجاد مادتين يدرسهما طلاب المرحلة الثانوية: أولاهما: العفة وتشتمل هذه المادة على بعض المسائل الهامة التي لها مساس كبير بحياة الشباب على أن يتناسب محتواها مع قدراتهم العقلية وإدراكهم من ذلك قضايا الزواج وكيفية بناء الأسر على أسس سليمة ، وقضايا تعاطي المخدرات وغيرها من المظاهر السلبية.

ثانيهما: مادة عن "المروءة" تشتمل على موضوعات تربي في أبناء المسلمين هذا الخلق وتسهم بدور كبير في الحفاظ على الذوق العام وكيفية التعامل مع المشكلات واتقاء الأزمات استعداداً لخوض غمار الحياة على وعي وبصيرة

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،

المصادر والمراجع

ابن العربي، محمد بن عبد الله. أحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ طبع).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، (القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٣١هـ).

ابن باز، عبد العزيز. حكم السفور والحجاب، مجلة البحوث الإسلامية، (الرياض: العدد ١٤، ١٤٠٥هـ - ١٤٠٦هـ).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. مجموع الفتاوى، (الرياض: وزارة الأوقاف السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ).

ابن حزم، علي بن أحمد. الأخلاق والسير في مداوة النفوس، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م).

ابن حنبل، أحمد بن محمد. المسند، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (الرياض: مكتبة دار السلام، ط الثانية ، ٢٠٠٢م).

ابن عاشور، محمد بن الطاهر. التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون، ١٩٩٧م).

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (المغرب: وزارة الأوقاف المغربية، ١٤١٢هـ).

ابن مفلح، محمد بن مفلح المقدسي. الآداب الشرعية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م).

ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، (بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ).

أبو زيد، بكر بن عبد الله. حراسة الفضيلة ، (الرياض: دار العاصمة، ١٤٢٥هـ).

الأصفهاني، الحسين بن المفضل. الذريعة إلى مكارم الشريعة، (القاهرة، مصر، ٢٠٠٧م).

الألباني، محمد ناصر الدين . صحيح الترغيب والترهيب، (الرياض: مكتبة المعارف ، ٢٠٠٠م).

الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الأدب المفرد، (الجبيل: مكتبة الدليل، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م).

الألوسي، محمود شكري. تفسير الألوسي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م).

البخاري، محمد بن إسماعيل. الأدب المفرد، (الرياض: مكتبة دار المعارف، ١٩٩٨م).

البخاري، محمد بن إسماعيل، (القاهرة: دار التأصيل، ٢٠١٢م)، برقم: (٦١٠٥)، والنيسابوري، مسلم بن الحجاج. الصحيح، (بيروت: دار الرسالة ، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م).

الجاحظ، عمر بن بحر. تهذيب الأخلاق، (طنطا: دار الصحابة للتراث، ١٩٨٩م).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي. التعريفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).

الحدري، خليل بن عبد الله. التربية الوقائية في الإسلام، (مكة: جامعة أم القرى، ١٤١٨هـ).

الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٦م).

الشنقيطي، عبد الله. علاج القرآن الكريم للجريمة، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٢م).

الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ).

الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير الجامع بين فني الراوية والدراية من علم التفسير (المنصورة: دار الوفاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م).

الشويعر، محمد بن سعد. الوقاية من الجريمة، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٨م) ص (٤٥).

الطبراني، سليمان بن أحمد، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م).

العقيلي، يحي بن سليمان. العفة ومنهج الاستعفاف، (الكويت: دار الدعوة ، ١٩٩٨م) ص (٩٥ وما بعدها).

الفاسي، علال. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٩٩١م) (١٩٥ وما بعدها).

الفوزان، صالح. دروس من القرآن الكريم، (الرياض: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد).

القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن الكريم، (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٦م).

قطب، سيد. في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، طبعة ١٧ ، ١٤١٢هـ).

الماوردي، علي بن محمد. أدب الدنيا والدين، (بيروت: دار الحياة ، ١٩٨٦م).

مجموعة من الباحثين. نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (جدة: دار الوسيلة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤م).

المصري، محمد أمين. المجتمع الإسلامي، (الكويت: دار الأرقم، ١٩٨٠م).

المقدم، محمد بن أحمد. عودة الحجاب، (الرياض: دار طيبة، ١٤١٠هـ).

المناوي، زين الدين محمد. فيض القدير شرح الجامع الصغير، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥١هـ).

النووي، يحي بن شرف. شرح النووي على صحيح مسلم، (القاهرة: دار الخير، ١٩٩٦م).

النيسابوري، الحاكم بن محمد. المستدرك على الصحيحين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م).